

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية

السيد علي قاضي عسكر

تمتاز مكة عن سائر المدن والبلدان بخصائص فذة وميزات فريدة؛ وذلك لما حباها الله تعالى به من موقع متميز ودور فعال في تاريخ البشرية وتاريخ المسلمين على وجه الخصوص. من هنا أود الإشارة إلى بعض تلك الخصائص التي ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم، وهي كما يلي:

١ - مكة أم القرى: فقد ورد عن المؤرخين أنه عندما كان الماء مشتملاً الكرة الأرضية برمتها، ظهرت فيها بقعة من اليابسة، ثم توسعت شيئاً فشيئاً، وقد سمي يوم ظهور اليابسة (دحو الأرض) وهو يعادل في السنة القمرية الخامسة والعشرين من شهر ذي القعدة.

وقد أشارت المصادر الدينية إلى هذه المسألة، واعتبرت البقعة الظاهرة من اليابسة هي محل الكعبة المشرفة، وأن الأرض توسعت من ذلك المكان^(١). وجاء في بعض الأدعية ما يدل على ذلك ومنه: «اللهم داحي الكعبة»^(٢). كما يؤيد ذلك نظريات علم الأرض الحديثة (الجيولوجيا) التي تقول: إن

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢: ١٢٤، تاريخ مكة المشرفة، لمحمد بن محمد بن أحمد بن الضياء المكي: ٣٤.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء الصباح.

قارّات العالم انفصلت من نقطة تقع في حدود أفريقيا وشبه الجزيرة العربية^(١).
ومما يجدر ذكره أنّ مكان الكعبة الحالي يقع في مقابل (الضراح) أو البيت
المعمور الذي عند العرش، وهذا الأمر - وما سبقه - يدلّان على أنّ للكعبة محوريّة
في عالم الخلق والوجود وفي الأرض^(٢). وقد جاء في الرواية «... وَوُضِعَ النَّبْتُ فِي
وَسَطِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي مِنْ تَحْتِهِ دُحَيْتِ الْأَرْضِ، وَلِيَكُونَ الْفَرَضُ
لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي ذَلِكَ سَوَاءً...»^(٣).

٢ - مكة تحظى بدعاء إبراهيم الخليل ﷺ: أسهمت مكة خلال تاريخها
العتيق في عطاء حضاري كبير، وذلك في أعقاب دعاء إبراهيم الخليل ﷺ، فقد
أصبحت مدينة أو بلداً يؤسس لحضارة دينيّة في بقعة جبلية ووادي غير ذي زرع،
وهو الذي أراده إبراهيم ﷺ في دعائه حيث قال: ﴿... رَبِّ اجْعَلْ هَذَا
بَلَدًا...﴾^(٤).

٣ - البلد الأمين: تمتاز هذه المدينة المقدّسة وحدود الحرم في أطرافها بالأمن،

(١) الحجّ من وجهة نظر الحقوق الدوليّة: ٢٠١. (باللغة الفارسية).

(٢) تاريخ مكة المشرفة: ٣٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩١.

(٤) البقرة: ١٢٦.

فليس لأحد الحق أن يدنس المكان بالظلم والجور، وكل من التجأ إليه فسيكون في كامل الأمن والأمان، ويشمل ذلك الحيوان والنبات، فلا يجوز لأحد أن يتعرض لها بالإساءة والأذى، فلا يقتل حيواناً أو يؤذيه، ولا يقطع نباتاً فيسلب منه الحياة، قال تعالى: ﴿... رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...﴾^(١)، وقال أيضاً في آية أخرى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾^(٢).

ويؤكد في آية ثالثة أن من انتهك حرمة الحرم؛ سيواجه بانتقام إلهي أليم، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ﴾^(٣).

**أسهمت مكة ذلال تاريخها العتيق في عطاء دضاري
كبير، وذلك في أعقاب دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد أصبحت
مدينة أو بلداً يؤسس لدضارة دينية في بقعة جبلية ووادٍ غير ذي زرع**

٤ - سلامة الاقتصاد والموارد: ومن الخصائص الأخرى التي تتميز بها هذه المدينة المقدسة، أن سكانها يتمتعون باقتصاد سالم وموارد طيبة، أعطاهم الله تعالى هذه النعمة المباركة، قال تعالى: ﴿... وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ...﴾^(٤)، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿... يَجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا...﴾^(٥).

٥ - اشتياق القلوب إليها: ومن خصائصها أن قلوب ملايين المسلمين تهفو إليها، وفي كل عام يحظى بعضهم بالتوفيق لحضور المشاعر المقدسة فيها، قال تعالى: ﴿... فَاجْعَلْ أَفئدةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ...﴾^(٦).

(١) البقرة: ١٢٦.

(٢) التين: ٣.

(٣) الحج: ٢٥.

(٤) البقرة: ١٢٦.

(٥) القصص: ٥٧.

(٦) إبراهيم: ٣٧.

٦ - **تساوي الناس فيها:** فالذين يردون مكة المشرفة لأداء المشاعر من غير أهلها، لا فرق بينهم وبين المقيمين فيها، قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ...﴾^(١)، وقد جاء في الرواية: «فالعاكف المقيم به، والبادي الذي يحج إليه من غير أهله»^(٢).

٧ - **أولياؤها من المتقين:** وجاء في الكتاب الكريم أن المتولين لهذه المدينة يجب أن يكونوا من المتقين الصالحين، قال تعالى: ﴿... وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾^(٣)، وسر هذه المسألة هو أن مكة والمسجد الحرام والكعبة ليست مجرد مدينة أو أثر تاريخي يتوجب على المتصددين له أن يبذلوا الجهد لحفظه وصيانته وحسب، بل هي قاعدة الهداية والتربية، ومركز إشعاع للعلم والثقافة، ومنه ينتقلان عن طريق الحجيج إلى كافة أنحاء العالم.

٨ - **فيها أول بيت وضع للناس:** فمن خصائص هذه المدينة المقدسة وقوع الكعبة فيها، وهي أول بيت وضع للناس، ونتيجة ذلك هو أن كل مسلم له تعلق خاص ببيته الذي هو بيت الله سبحانه، فلا يشعر بالغرابة فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا...﴾^(٤).

٩ - **هدى للعالمين:** فالكعبة منار هدى ومركز إشعاع للهداية الدينية إلى أرجاء العالم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ... وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾.

والرسول ﷺ رسالته عالمية هي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٥) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٦).
والقرآن الكريم أنزله الله تعالى هداية عموم البشر ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ

(١) الحج: ٢٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ٧: ١٢٧.

(٣) الأنفال: ٣٤.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) الفرقان: ١.

(٦) سبأ: ٢٨.

فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ... ﴿١﴾، ﴿... إِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾. وبناءً على ما تقدّم فإنّ الإسلام دين عالمي، والرسول ﷺ إنّما بعث لهداية الناس كافة، ومثل هذا الدين يحتاج إلى مركز ثابت وغير قابل للتحوّل والتغيير، كي يستطيع محبّو هذا الدين ومؤيّدوه أن يجتمعوا في هذا المركز، ويتحدّثوا في المسائل العلميّة والسياسيّة والاقتصاديّة والدينيّة، ويتبادلوا الخبرات ووجهات النظر المختلفة التي تسهم في حلّ مشكلاتهم والصعوبات التي تعترض حياتهم، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ ﴿٣﴾.

من هنا، جعل الله سبحانه رابطة تشدّ المسلمين إلى هذا المركز، فهم يتوجّهون إليه كلّ يوم خمس مرّات عند إقامة الصلاة، ويجعلون وجوه موتاهم إليه عند الدفن.

١٠- الكعبة طاهرة مطهرة: فالكعبة والمسجد الحرام مطهّران بأمر الله تعالى من كلّ دنسٍ ورجس، ومن يدخل البيت الحرام فإنّه يطهّر من الذنوب، ويردّ إلى أهله وهو «مغفورٌ له كلّ ذنب» ﴿٤﴾ كما ورد في الحديث.

والأمر في هذه الطهارة هو من عند الله تعالى: ﴿وَعَاهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿٥﴾.

ولو أردنا أن نستلهم من الكتاب الكريم لندرك دور المسجد في تطهير المؤمن، فإنّنا سنجد أنّه يقول حول بناء مسجد قبا: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾، ثم يقول: ﴿... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) الحج: ٢٧.

(٤) تهذيب الأحكام ٦: ١٢١.

(٥) البقرة: ١٢٥.

يتطهروا...»، وفي النتيجة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١)، ومنه نستنتج أن هذا البيت بُني حتى يدخله المسلمون ويظهروا أنفسهم من أدران الشرك والذنوب لينالوا محبة خالقهم.

١١ - الكعبة قيام للناس: فقد جعل القرآن الكريم بقاء المجتمع الإسلامي رهناً ببقاء الكعبة، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ...﴾^(٢). هذه الآية تبيّن أن الناس إذا اهتموا بالحجّ والكعبة واستفادوا من هذا التجمّع الديني الكبير على طريق تحقّق أهداف الرّسول الأعظم ﷺ، فإنّ حياتهم الماديّة والاجتماعيّة والسياسيّة ستصان من التفرّق والاختلاف، وتحفظ من التشتت والانفصال، وقد عبّر الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن هذه الحقيقة القرآنيّة بقوله: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»^(٣). ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لأولاده وأصحابه: «الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تُناظروا...»^(٤)، وجاء أيضاً في حديث آخر: «أما إنّ الناس لو تركوا حجّ هذا البيت لنزل بهم العذاب وما نوظروا»^(٥). نستخلص مما تقدّم أنّ عدم الاعتناء بالكعبة وإهمال الحجّ نقض للعهد مع الله سبحانه وإهمال لأحد أركان ديننا المهمّة، ولا ريب أنّ لإهماله دوراً تخریبياً كبيراً في إضعاف قواعد الإسلام وتبديد قواه، لذلك اتّخذت العقوبات القاسية في هذا المجال.

كما أنّه على الدول الإسلاميّة في حال عدم الاعتناء بالحجّ وترك زيارة بيت الله الحرام أن يرسلوا المسلمين إلى الحجّ ويُنفقوا عليهم من بيت المال، كي

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) المائدة: ٩٧.

(٣) الكافي ٤: ٢٧١، بحار الأنوار ٩٩: ٥٧.

(٤) نهج البلاغة، بتحقيق صبحي الصالح: ٤٢٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٦.

(٥) بحار الأنوار ٩٩: ١٦، وسائل الشيعة ١١: ٢٢.

لا يبقى بيت الله مهجوراً^(١).

١٢ - الكعبة بيت عتيق: فهي بيت حرّ، وهي محور الحرّية، قال تعالى: ﴿... وَلِيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ وَيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٢). ويقول الإمام الباقر عليه السلام حول سبب تسمية الكعبة بالبيت العتيق: «هو بيت حرّ عتيق من الناس لم يملكه أحد»^(٣).

وبما أنّ الكعبة محور التوحيد. والتوحيد ينطوي على التخلّص من كلّ أنواع العبوديّة إلاّ الله تعالى، لذا يمكن القول: إنّ الكعبة محور الحرّية، يقول الإمام علي عليه السلام: «ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً»^(٤).

١٣ - الكعبة مثابة للناس: إذ هي مرجع ومأمن للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾^(٥)، فالذي يتوجه إلى البيت ويزوره فكأنّما عاد إلى وطنه الأصلي وبالنتيجة عاد إلى أصله.

ولو أمعنا النظر في الخصوصيات التي تتمتع بها مكّة المكرمة، ندرك بوضوح أنّه ليس ثمة مدينة في الدنيا تمتلك مثل هذه الخصوصيات، أو أن تكون ندّاً لها في هذا الإطار، وعليه فإنّ مكّة أليق مكان لتبيين الدين ونشر الثقافة الإسلاميّة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً لمكّة: «إني لأعلم أنّك حرم الله وأمنه وأحبّ البلدان إلى الله تعالى»^(٦).

وعنه صلى الله عليه وآله وكان واقفاً بالحزورة^(٧) في سوق مكّة: «والله إنّك لخير أرض الله،

(١) علل الشرائع: ٣٩٦.

(٢) الحج: ٢٩.

(٣) الكافي ٤: ١٨٩، علل الشرائع: ٣٩٩.

(٤) نهج البلاغة، بتحقيق صبحي الصالح: ٤٠١.

(٥) البقرة: ١٢٥.

(٦) أخبار مكّة للفاكهي ٢٦١، ١٤٧١، كنز العمال ١٤: ٣٨٠٣٩/٩٧.

(٧) الحزورة: موضع بمكّة عند باب الحنّاطين. النهاية ١: ٣٨٠.

وأحبّ الأرض إلى الله عزّ وجلّ ، ولولا أنّي أخرجتُ منك ما خرجتُ»^(١) .
ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «أحبّ الأرض إلى الله تعالى مكّة ، وما تربة
أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من تربتها ، ولا حجر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من حجرها ،
ولا شجر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من شجرها ، ولا جبال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من
جبالها ، ولا ماء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من مائها...»^(٢) .

مكّة موضع لإقامة الحجّ ومحور لنشر الثقافة الدينيّة:

تمتلك مكّة المقدّسة خصائص الشرف ومقومات العظمة من جهة ، كما
حظيت من جهة أخرى بأهمية أكثر لإقامة مراسم الحجّ فيها ، فالحجّ هو الذي
جعل من هذه المدينة محوراً وعمّق أثرها الثقافي والأخلاقي في العالم الإسلامي ،
وأهلها لأداء هذا الدور على أحسن وجه .

لقد أوجب الله تعالى الحجّ على المستطيع من الناس في قوله: ﴿... والله على
الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً...﴾^(٣) ، لكي يجتمع المسلمون في موسم
الحجّ كلّ عام وفي أيام خاصّة من كلّ أرجاء العالم عند هذه البقعة المقدّسة ، فيؤدّوا
مناسك فريضة الحجّ ، وتلك الفريضة واجبة على كلّ مسلم مستطيع مرّة واحدة في
حياته ، ولهذا قيل لها : (عبادة العمر) .

**تمتلك مكّة المقدّسة خصائص الشرف ومقومات
العظمة من جهة ، كما حظيت من جهة أخرى بأهمية أكثر
لإقامة مراسم الحجّ فيها ، فالحجّ هو الذي جعل من هذه
المدينة محوراً وعمّق أثرها الثقافي والأخلاقي في العالم
الإسلامي ، وأهلها لأداء هذا الدور على أحسن وجه**

(١) مسند أحمد ٦: ٤٤٩-٤٥٠/١٨٧٤ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٣ .

(٣) آل عمران: ٩٧ .

إنّ الروايات والأخبار الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام والمتعلّقة بثمرات وبركات الحجّ، تبين أنّ الحجّ قاعدة أساسية للتحوّل الروحي والأخلاقي للمسلمين. ففي كلّ عام يجب على من تتوفّر فيهم شروط الاستطاعة أن يؤدّوا المناسك المقدّسة، ويطهّروا أنفسهم من الذنوب ويتعدّوا عن الخطايا التي اقترفوها ويختاروا النهج الصحيح في الحياة، ثم يعودوا فينقلوا هذا التحوّل إلى عوائلهم وأصدقائهم ومعارفهم في أماكن مختلفة من العالم، وبذلك يسهم الحجّ في بسط التهذيب الخلق والروحي للمسلمين. ومما يجدر ذكره في هذا المقام، هو أنّه لا ترصد أيّة ميزانيّة لإنجاز هذا العمل، ولا ينفق شيء من بيوت أموال المسلمين، لأنّ كلّ حاجّ إنّما يتوجب عليه الحجّ عندما يكتسب الاستطاعة أو المقدرة المالية، وبالنتيجة يتحمّل جميع النفقات المترتبة عليه.

وفيما يلي نذكر نموذجاً مناسباً لكي يدرك القراء الأعزّاء هذه الحقيقة بشكل جليّ: أرسلت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في سنة ١٤٢٤هـ نحو ستّائة ألف حاجّ ومعتّم لأداء مراسم الحجّ والعمرة، وأمضوا في الحرمين الشريفين نحو خمسة عشر يوماً خلال العمرة، ونحو سبعة وعشرين يوماً خلال موسم الحجّ، ويحضر الحجّيج في إيران جلسات تعليميّة خاصّة قبل تشرفّهم لأداء مراسم الحجّ بنحو ثلاثة أشهر، وقبل العمرة بنحو شهرين، وتطرح في تلك الجلسات عدّة مسائل مثل؛ ١- الأحكام الفقهيّة العامّة ٢- مناسك الحجّ ٣- أسرار ومعارف الحجّ ٤- تاريخ الإسلام ٥- الأماكن

والآثار الإسلامية في مكة والمدينة ٦ - آداب سفر الحج ٧ - آداب المعاشرة والتأكيد على الأخلاق الإسلامية ٨ - مراعاة الصحة في السفر ٩ - التعريف بقوانين الدولة المضيفة وضوابطها. ١٠ - توصيات وإرشادات وغيرها.

**أرسلت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في
سنة ١٤٢٤هـ نحو ستمائة ألف حاج ومعتمر لأداء
مراسم الحج والعمرة، وأمضوا في الحرمين
الشريفيين نحو خمسة عشر يوماً خلال العمرة،
ونحو سبعة وعشرين يوماً خلال موسم الحج**

وحيثما يتشرفون بزيارة الحرمين الشريفين فإنهم يقعون تحت تأثير قوة الجذب المعنوي والروحي التي تثيرها فيهم مشاهد مكة والمدينة سيما في أيام التشريق وعرفات والمشعر ومنى والطواف والسعي وغيرها من المشاعر المقدسة. فلو فرضنا أن معدل عدد عائلة كل حاج هو أربعة، فإن كل حاج حينما يعود من المشاهد المقدسة بعد أن يتأثر بها وتحدث في وجوده تحولاً روحياً وأخلاقياً، يستطيع أن يؤثر أيضاً على أعضاء عائلته على الأقل، فينقل إليهم تأثيرات نفسه الروحية والأخلاقية بتلك المشاهد والديار المقدسة، وبهذا ينتفع من هذا الإشعاع الروحي والثقافي نحو مليونين وأربعمائة ألف إنسان في كل سنة وفقاً لمثالنا الذي ذكرناه، وهو أمر يستحق الاهتمام سيما في وقتنا الحاضر الذي يسعى فيه أعداء الإسلام إلى سلب الهوية الإسلامية من أبناء الإسلام، ويستخدمون شتى الوسائل المتقدمة لفرض ثقافتهم وقوانينهم ونماذجهم غير الإسلامية.

ولأجل توضيح الموضوع لا بد من الإشارة إلى بعض الثمرات والنتائج المترتبة على الحج والوارد في الأحاديث والروايات المنقولة عن رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

بركات الحج

إذا أنجز الحاج حجّه إلى بيت الله بشكل صحيح تُراعى فيه الآداب الخاصّة بالحجّ والمشاعر، وبعبارة أخرى إذا أدّى مشاعر الحجّ بشرطها وشروطها، فسوف تترتب عدّة آثار وثمرات مهمّة يستفيد منها الحاج في دنياه وآخرته، وفيما يلي نذكر بعضها:

١ - غفران الذنوب:

إنّ الحاج حينما يؤدّي المناسك ويعيشها يشطب على ماضيّه غير الصحيح بخطّ البطلان، ويمهد الطريق لحياة صحيحة يراعى فيها الدين ومبادئه الحقة.

قال رسول الله ﷺ: «أُمِّي رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، فَكُلَّمَا رَفَعَ قَدَمًا وَوَضَعَ قَدَمًا تَنَاءَتْ مِنَ الذُّنُوبِ مِنْ بَدَنِهِ كَمَا يَتَنَاءَثِرُ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ، فَإِذَا وَرَدَ الْمَدِينَةَ وَصَافَحَنِي بِالسَّلَامِ صَافَحْتُهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا وَرَدَ ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَاغْتَسَلَ طَهْرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَإِذَا لَبَسَ ثَوْبَيْنِ جَدِيدَيْنِ جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من حجّ يريد الله عزّ وجلّ ولا يريد به رياءً ولا سمعةً غفر الله له البتّة»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من حجّ البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمّه»^(٣).

ويقول أيضاً في حديث آخر: «معاشر الناس، ما وقف بالموقف مؤمناً إلا غفر له ما سلف من ذنبيه إلى وقته ذلك فإذا انقضت حجّته استؤنف عمله»^(٤).

ومما تقدّم نستنتج أنّ أداء الحجّ بشكله الصحيح الذي يقبله الله تعالى، يكون ثوابه غفران الذنوب والدخول في حياة جديدة ومنهج جديد.

(١) الحجّ في الكتاب والسنة: ٣٢٥/١٤٨.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ١٠٩.

(٣) الحجّ في الكتاب والسنة: ٣٩٢/١٦٣.

(٤) سنن الدارقطني ٢: ٢٨٤.

٢ - دخول الجنة:

جعل تعالى ثواب الحج المبرور والمقبول دخول الجنة، ولعلّ السبب في ذلك هو أنّ صاحب البيت حينما يحلّ عليه أحدٌ ضيفاً، يسعى إلى أن يُقرّبه بأحسن ما لديه من الغذاء وأن يوفّر له أحسن الامكانيات المتاحة لديه، والحاج هو ضيف الله القاصد بيته، وهو تعالى العفو الكريم الذي لا يخيب من دعاه ولا يردّ من رجاءه، ونحن نخاطبه تعالى في الدعاء فنقول: «يا أكرم الأكرمين».

والجنة التي وعد الله تعالى بها عباده المؤمنين والمحسنين، هي خير ما يجوبه ضيوف بيته، قال رسول الله ﷺ: «الحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١).

٣ - النورانيّة:

لا ريب أنّ كلّ إنسان يولد على الفطرة الخالصة، وحينما يكون طفلاً فإنّ قلبه يحفل بالنورانيّة البعيدة عن الكدورة، لكن بعد مرحلة البلوغ والاختلاط مع أفراد المجتمع قد يتلوّن بشكل تدريجي بأدران الذنوب ودنس المعاصي، وأحياناً يتسافل إلى حدّ القسوة، فتغطّي الكدورة قلبه، ويفقد الأمل في إصلاحه ونجاته.

**والحاج هو ضيف الله القاصد بيته، وهو تعالى العفو
الكريم الذي لا يخيب من دعاه ولا يردّ من رجاءه، ونحن نخاطبه
تعالى في الدعاء فنقول: «يا أكرم الأكرمين»**

لكن الأفراد الذين لم يبلغوا هذه المرحلة الخطيرة، وتوفّقوا لأداء فريضة الحجّ، يستطيعون أن يطهّروا نفوسهم ويغسلوا أرواحهم ببحر الحجّ الصافي الزلال، ويعودوا ثانية إلى الحياة وقد استعادوا فطرتهم الأولى واكتسبوا نورانيّة قلوبهم، تلك النورانيّة هي أجرهم من الله تعالى، ويمكنهم المحافظة عليها بالعمل وفق مبادئ الاسلام ومنهج القويم، ومن الواضح أن اقرار الذنوب يقلّل من

(١) مستدرک وسائل الشيعة ٢: ٨.

تلك النورانية، والاستمرار فيها يزيلها إلى الأبد، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الحاج لا يزال عليه نور الحجّ ما لم يلمّ بذنب»^(١).

٤ - الحصول على خير الدارين:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت، فما أتاه عبد يسأل الله دنيا إلا أعطاه الله منها، ولا يسأله آخرة إلا ادّخر له منها»^(٢).
وفي حديث آخر قال لعثمان بن أبي العاص: «واعلم أنّ العمرة هي الحجّ الأصغر، وأن عمرة خير من الدنيا وما فيها، وحجّة خير من عمرة»^(٣).

٥ - طمأنينة القلب:

من فلسفة تشريع فريضة الحجّ إقامة ذكر الله تعالى، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: «إنّما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»^(٤).

وجاء في القرآن الكريم أنّ ذكر الله تعالى باعث على طمأنينة القلب ﴿ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٥)، ومع النظر إلى هذه المقدّمة وإلى ما قاله الإمام الباقر عليه السلام: «الحجّ تسكين القلوب»^(٦) يتبيّن أن إحدى ثمرات الحجّ طمأنينة القلب، التي تعدّ من أهمّ ما يحتاجه أبناء البشرية في هذا اليوم.

٦ - مجالسة النبيين والصالحين:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لما حجّ موسى عليه السلام نزل عليه جبرئيل فقال له موسى: يا جبرئيل، ما لمن حجّ هذا البيت بنية صادقة ونفقة طيبة؟ قال: فرجع إلى الله تعالى، فأوحى الله إليه: قل له: أجعله في الرفيق الأعلى»

(١) الكافي ٤: ٢٥٥.

(٢) مسند الإمام زيد: ١٩٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٩: ٤٤.

(٤) الحجّ في الكتاب والسنة: ٢٨٠/١٣٣.

(٥) الرعد: ٢٨.

(٦) بحار الأنوار ٧٥: ١٨٣.

مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»^(١).

٧ - الأمن من العذاب:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «من دخل هذا البيت عارفاً بجميع ما أوجبه الله عليه، كان آمناً في الآخرة من العذاب الدائم»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال: «من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله...»^(٣).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «... وعليكم بحجّ هذا البيت فأدمنوه، فإنّ في إيمانكم الحجّ دفع مكاره الدنيا عنكم، وأهوال يوم القيامة»^(٤).

٨ - علو الدرجات في الجنة:

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحاج في ضمان الله مقبلاً ومدبراً، فإن أصابه في سفره تعب أو نصب غفر الله له بذلك سيئاته، وكان له بكلّ قدم يرفعه ألف ألف درجة في الجنة، وبكلّ قطرة تصيبه من مطر أجر شهيد»^(٥).

٩ - استجابة الدعاء:

ومن ثمرات الحجّ استجابة الدعاء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَةٌ: دُعَاءُ الْحَاجِّ فِي تَخَلُّفِ أَهْلِهِ، وَدُعَاءُ الْمَرِيضِ فَلَا تُؤْذُوهُ وَلَا تُضْجِرُوهُ، وَدُعَاءُ الْمَظْلُومِ»^(٦).

وقال في حديث آخر: «الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَقَدْ لَبَّيْهُمُ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»^(٧).

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٣٥.

(٢) عوالي اللآلي ٢: ٢٧٧/٨٤.

(٣) الكافي ٤: ٢٢٦، والآية من سورة آل عمران: ٩٦.

(٤) أمالي الطوسي: ٦٦٨.

(٥) كنز العمال ح ١١٨١٢ و ١١٨٤٠.

(٦) الحجّ في الكتاب والسنة: ٣٨٦/١٦٢.

(٧) نفس المصدر، ح ٣٨٧.

١٠ - نفي الفقر:

قال رسول الله ﷺ: «حُجُّوا لَنْ تَمْتَقِرُوا»^(١).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ،... وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ»^(٢).

١١ - سلامة الأبدان:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «حُجُّوا وَاعْتَمَرُوا تَصِحَّ أَبْدَانُكُمْ وَتَتَسَّعَ أَرْزَاقُكُمْ وَتَكْفُونَ مَوْنَاتِ عِيَالِكُمْ...»^(٣).

١٢ - الوقاية من الهلاك والعذاب:

عن الصادق عليه السلام قال: «كَانَ فِي وَصِيَّةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَدْعُوا حَجَّ بَيْتِ رَبِّكُمْ فَتَهْلِكُوا»^(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال: «لَوْ تَرَكَ النَّاسُ الْحَجَّ لَمَا نَوَظَرُوا الْعَذَابَ» أَوْ قَالَ: «أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ»^(٥).

**إِنَّ مَكَّةَ هِيَ عَاصِمَةُ الثَّقَافَةِ فِي الْعَالَمِ
الْإِسْلَامِيِّ، وَهِيَ قَاعِدَةٌ قَوِيَّةٌ وَمَدَكِمَةٌ لَتَطْهِيرِ
الرُّوحِ وَسَمُوِّ الْأَخْلَاقِ، فَإِذَا أَحْسَنَّا الِاسْتِفَادَةَ مِنْ هَذِهِ
الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ أَمَكَّنَّا بَلُوغَ الْأَهْدَافِ
الْمَذْكُورَةِ بِكُلِّ يَسْرٍ**

(١) نفس المصدر، ح ٣٩٨.

(٢) نفس المصدر، ح ٤٠٢.

(٣) الكافي ٤: ٢٥٢.

(٤) المحاسن: ١: ١٧٠.

(٥) الكافي ٤: ٢٧١.

ومما تقدّم ذكره وما يستفاد من الروايات المتعلقة بفلسفة الحجّ وأسرار أعماله المختلفة، مثل: التوبة قبل السفر، ودفع الحقوق الماليّة، وتطهير الأموال، وتحصيل الإخلاص وإنجاز الأعمال لله، والتزوّد من أطيب الزاد، وإعانة الأصحاب، والاحتراز من العجلة، ومراعاة المرضى، واحترام الكبار، وحسن الخلق مع الصاحب في السفر، وعدم الإساءة إلى الآخرين، والتصدّق، وقراءة الدعاء عند الخروج من المنزل وعلى طول السفر وغيره... نستخلص أنّ الحجّ أحد القواعد المهمّة في تغيير الذات وإحداث التحوّل الروحي والأخلاقي للفرد المسلم، وأنّ مناسك الحجّ هي في الحقيقة مناسك الحياة الإسلاميّة الصحيحة، ففي الحجّ تتمثّل الحياة الدنيا والآخرة جنباً إلى جنب، فهو تربية وتهذيب للنفس، وتربية اجتماعية وسياسيّة، وهو باعث للشعور بالأخوة، وتعلّم النظم والترتيب، وهو مجمع لتوحيد الآراء والقلوب في مجالات متعدّدة، وهو محور للقرب من الخالق والزلفى لديه تعالى، ولكلّ ذلك وغيره جعل الله تعالى الحجّ مركزاً لاجتماع المسلمين: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...﴾.

ومن مجمل ما ذكرناه يمكن القول: إنّ مكّة هي عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي، وهي قاعدة قويّة ومحكمة لتطهير الروح وسمو الأخلاق، فإذا أحسنّا الاستفادة من هذه الفريضة العظيمة أمكننا بلوغ الأهداف المذكورة بكلّ يسر. أخيراً، ولأجل حسن الختام لهذا المقال المتواضع، أذكر حديثين للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام والإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يبيّنان طريق وأسلوب الحجّ الصحيح، أو الحجّ المبرور، راجياً من الله العزيز أن يوفّق الجميع للاستفادة من هذه الفريضة المعنوية الإلهية على النحو الأحسن والأفضل.

١ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام حينما التقى الشبلي بعد أداء مشاعر الحج:

حَجَبْتَ يَا شَبْلِي؟

قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ عليه السلام: أَنْزَلْتَ الْمِيقَاتَ وَتَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ وَاغْتَسَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَحِينَ نَزَلْتَ الْمِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ خَلَعْتَ ثَوْبَ الْمَعْصِيَةِ وَلَبِستَ ثَوْبَ الطَّاعَةِ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ ثِيَابِكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَجَرَّدْتَ مِنَ الرِّيَاءِ وَ النَّفَاقِ وَ الدُّخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ اغْتَسَلْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ اغْتَسَلْتَ مِنَ الْخَطَايَا وَ الدُّنُوبِ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا نَزَلْتَ الْمِيقَاتَ وَلَا تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ وَلَا اغْتَسَلْتَ،

ثُمَّ قَالَ: تَنْظَّفْتَ وَ أَحْرَمْتَ وَ عَقَدْتَ بِالْحَجِّ، قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَحِينَ تَنْظَّفْتَ وَ أَحْرَمْتَ وَ عَقَدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَنْظَّفْتَ بِسُورَةِ

التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ لِهَذَا تَعَالَى؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ أَحْرَمْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ مُحَرَّمٍ حَرَّمَهُ اللَّهُ

عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ عَقَدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ قَدْ حَلَلْتَ كُلَّ عَقْدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا،

قَالَ لَهُ عليه السلام: مَا تَنْظَّفْتَ وَ لَا أَحْرَمْتَ وَ لَا عَقَدْتَ الْحَجَّ،

قَالَ لَهُ: أَدْخَلْتَ الْمِيقَاتَ وَ صَلَّيْتَ رَكَعَتِي الْإِحْرَامِ وَ لَبَّيْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَحِينَ دَخَلْتَ الْمِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ بِنِيَّةِ الزِّيَارَةِ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ صَلَّيْتَ الرَّكَعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَى اللَّهِ بِخَيْرِ الْأَعْمَالِ مِنَ

الصَّلَاةِ وَ أَكْبَرَ حَسَنَاتِ الْعِبَادَةِ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ لَبَّيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ نَطَقْتَ لِهَذَا سُبْحَانَهُ بِكُلِّ طَاعَةٍ وَ صُمتَ عَنْ كُلِّ

مَعْصِيَةٍ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ لَهُ عليه السلام: مَا دَخَلْتَ الْمِيقَاتَ وَ لَا صَلَّيْتَ وَ لَا لَبَّيْتَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْخَلْتَ الْحَرَمَ وَرَأَيْتَ الْكَعْبَةَ وَصَلَّيْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ.
قَالَ: فَحِينَ دَخَلْتَ الْحَرَمَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ غِيْبَةٍ تَسْتَغِيْبُهَا
الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ وَصَلْتَ مَكَّةَ نَوَيْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّكَ قَصَدْتَ اللَّهَ؟ قَالَ: لَا.
قَالَ ﷺ: فَمَا دَخَلْتَ الْحَرَمَ وَلَا رَأَيْتَ الْكَعْبَةَ وَلَا صَلَّيْتَ.
ثُمَّ قَالَ: طُفْتُ بِالْبَيْتِ وَمَسَسْتُ الْأَرْكَانَ وَسَعَيْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ.
قَالَ ﷺ: فَحِينَ سَعَيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ هَرَبْتَ إِلَى اللَّهِ، وَعَرَفَ مِنْكَ ذَلِكَ عَلَامُ
الْغُيُوبِ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا طُفْتَ بِالْبَيْتِ وَلَا مَسَسْتَ الْأَرْكَانَ وَلَا سَعَيْتَ.
ثُمَّ قَالَ لَهُ: صَافَحْتَ الْحَجَرَ وَوَقَفْتَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَصَلَّيْتَ بِهِ رَكَعَتَيْنِ؟
قَالَ: نَعَمْ، فَصَاحَ ﷺ صَيْحَةً كَادَ يُفَارِقُ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ:
أِهْ أِهْ

ثُمَّ قَالَ ﷺ: مَنْ صَافَحَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَقَدْ صَافَحَ اللَّهَ تَعَالَى، فَاَنْظُرْ يَا مُسْكِينُ
لَا تُضَيِّعْ أَجْرَ مَا عَظُمَ حُرْمَتُهُ، وَتَنْقُضَ الْمُصَافِحَةَ، بِالْمُخَالَفَةِ، وَقَبْضِ الْحَرَامِ
نَظِيرِ أَهْلِ الْأَثَامِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: نَوَيْتَ حِينَ وَقَفْتَ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ أَنَّكَ وَقَفْتَ عَلَى كُلِّ
طَاعَةٍ وَتَخَلَّفْتَ عَنِ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ صَلَّيْتَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ صَلَّيْتَ بِصَلَاةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَ
أَرْغَمْتَ بِصَلَاتِكَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ لَهُ: فَمَا صَافَحْتَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَلَا وَقَفْتَ عِنْدَ الْمَقَامِ وَلَا صَلَّيْتَ فِيهِ
رَكَعَتَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ لَهُ: أَشْرَفْتَ عَلَى بَيْتِ زَمْزَمَ وَشَرِبْتَ مِنْ مَائِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ.
قَالَ: نَوَيْتَ أَنَّكَ أَشْرَفْتَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَظَّضْتَ طَرْفَكَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ ﷺ: فَمَا أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا وَلَا شَرِبْتَ مِنْ مَائِهَا.
 ثُمَّ قَالَ لَهُ ﷺ: أَسَعَيْتَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَمَشَيْتَ وَتَرَدَّدْتَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ:
 نَعَمْ.

قَالَ لَهُ: نَوَيْتَ أَنَّكَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ؟ قَالَ: لَا.
 قَالَ: فَمَا سَعَيْتَ وَلَا مَشَيْتَ وَلَا تَرَدَّدْتَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ...
 فَطَفِقَ الشُّبْلِيُّ يَبْكِي عَلَى مَا فَرَطَهُ فِي حَجِّهِ، وَمَا زَالَ يَتَعَلَّمُ حَتَّى حَجَّ مِنْ
 قَابِلٍ بِمَعْرِفَةٍ وَبَيَقِينَ^(١).

٢ - قال الصادق ﷺ:

«إِذَا أَرَدْتَ الْحَجَّ فَجَرِّدْ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ وَحِجَابٍ وَفَوْضْ
 أُمُورَكَ إِلَى خَالِقِهَا، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ، وَسَلِّمْ لِقَضَائِهِ
 وَحُكْمِهِ وَقَدْرِهِ، وَدَعْ الدُّنْيَا وَالرَّاحَةَ وَالْخُلُقَ وَاخْرُجْ مِنْ حُقُوقِ تَلْزِمِكَ مِنْ
 جِهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى زَادِكَ وَرَاحِلَتِكَ وَأَصْحَابِكَ وَقُوَّتِكَ وَشَبَابِكَ
 وَمَالِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ عَدُوًّا وَوَبَالًا، فَإِنَّ مَنْ ادَّعَى رِضَى اللَّهِ وَاعْتَمَدَ عَلَى
 مَا سِوَاهُ صَيَّرَهُ عَلَيْهِ وَوَبَالًا وَعَدُوًّا لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ وَلَا لِأَحَدٍ إِلَّا
 بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، فَاسْتَعِدَّ اسْتِعْدَادَ مَنْ لَا يَرْجُو الرُّجُوعَ وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ وَ
 رَاعِ أَوْقَاتَ فَرَائِضِ اللَّهِ وَسُنَنِ نَبِيِّهِ ﷺ وَمَا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَدَبِ وَالِاحْتِمَالِ
 وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالشَّفَقَةِ وَالسَّخَاوَةِ وَإِثَارِ الزَّادِ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ اغْسِلْ
 بِمَاءِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ ذُنُوبَكَ، وَالْبَسْ كِسْوَةَ الصَّدَقِ وَالصَّفَا وَالْخُضُوعِ
 وَالْخُشُوعِ، وَأَحْرِمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَمْنَعُكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَحْجُبُكَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَلَبَّ
 بِمَعْنَى إِجَابَةِ صَادِقَةٍ صَافِيَةٍ خَالِصَةٍ زَاكِيَةٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي دَعْوَتِكَ مُتَمَسِّكًا بِالْعُرْوَةِ
 الْوُثْقَى، وَطَفَّ بِقَلْبِكَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ حَوْلَ الْعَرْشِ كَطَوَافِكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِكَ
 حَوْلَ الْبَيْتِ، وَهَرُولَ هَرَبًا مِنْ هَوَاكَ وَتَبْرًا مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَاخْرُجْ مِنْ

(١) مستدرک الوسائل ١٠: ١٦٦.

غَفَلْتِكَ وَ زَلَّاتِكَ بِخُرُوجِكَ إِلَى مِنَى، وَ لَا تَتَمَنَّ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ وَ لَا تَسْتَحِقُّهُ، وَ اعْتَرَفَ بِالْخَطَايَا بِعَرَفَاتٍ، وَ جَدَّدَ عَهْدَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَ اتَّقَهُ بِمُزْدَلِفَةَ، وَ اصْعَدَ بِرُوحِكَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِصُعُودِكَ إِلَى الْجَبَلِ، وَ ادْبُحَ حَنْجَرَةَ الْهَوَى وَ الطَّمَعِ عَنكَ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ، وَ ازِمِ الشَّهَوَاتِ وَ الْخَسَاسَةَ وَ الدَّنَاءَةَ وَ الذَّمِيمَةَ عِنْدَ رَمَى الْجِمَارِ، وَ اخْلِقِ الْعُيُوبَ الظَّاهِرَةَ وَ الْبَاطِنَةَ بِحَلْقِ شَعْرِكَ، وَ ادْخُلْ فِي أَمَانِ اللَّهِ وَ كَنَفِهِ وَ سِتْرِهِ وَ كِلَاءَتِهِ مِنْ مُتَابِعَةِ مُرَادِكَ بِدُخُولِ الْحَرَمِ وَ دُخُولِ الْبَيْتِ مُتَحَقِّقًا لِتَعْظِيمِ صَاحِبِهِ وَ مَعْرِفَةِ جَلَالِهِ وَ سُلْطَانِهِ، وَ اسْتَلِمِ الْحَجَرَ رِضَى بِقِسْمَتِهِ وَ خُضُوعًا لِعِزَّتِهِ، وَ دَعِ مَا سِوَاهُ بِطَوَافِ الْوُدَاعِ، وَ أَصْفِ رُوحَكَ وَ سِرَّكَ لِلِقَائِهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ بِوُقُوفِكَ عَلَى الصَّفَا، وَ كُنْ بِمَرَأَى مِنَ اللَّهِ نَفِيًّا عِنْدَ الْمَرْوَةِ، وَ اسْتَقِمْ عَلَى شَرْطِ حَجَّتِكَ هَذِهِ وَ وِفَاءِ عَهْدِكَ الَّذِي عُوْهِدَتْ بِهِ مَعَ رَبِّكَ وَ أُوجِبَتْ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ الْحَجَّ وَ لَمْ يَخُصَّهُ مِنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وَ لَا شَرَعَ نَبِيِّهِ ﷺ سُنَّةً فِي خِلَالِ الْمَنَاسِكِ عَلَى تَرْتِيبِ مَا شَرَعَهُ إِلَّا لِلِاسْتِعْدَادِ وَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْمَوْتِ وَ الْقَبْرِ وَ الْبَعْثِ وَ الْقِيَامَةِ وَ فَضْلِ بَيَانِ السَّبْقِ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ أَهْلِهَا وَ دُخُولِ النَّارِ أَهْلِهَا بِمُشَاهَدَةِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ وَ أَوْلِي النَّهْيِ»^(١).

(١) مصباح الشريعة: ١٤٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٢٤.